لليهود » . انهم يحتلون مناطق عازلة عامة من بلدين مجاورين هما مصر وسورية وينشئون فيها مستعمرات جديدة ، مما قد يشكل مصدر خطر لا يمكن التقليل منه . وكل ذلك يتم تحت سمع ونظر العالم كله والامم المتحدة ومباركتهما له . وبالمقابل رأى الفلسطينيون خلال هذه السنوات الثلاث ومن خلال تجاربهم المريرة ، انهم عوضا عن الحصول على التأييد لكفاحهم من اجل استرداد بلادهم، يتلقون الطعنات من الخلف، ليس فقط من اعدائهم في اسرائيل وخارجها ولكن ايضا من أقرب واعز « أشقائهم » ، وبالتحديد الاردنيين، ومن بعض اشقائهم العرب الاخرين الذي اكتفوا بالتفرج من بعيد على ما يجري . وهكذا نرى أن فصائل حركة المقاومة الفلسطينية التي هلل لها الزعماء العرب والشعب العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ واعتبروها كمنقذ للشرف العربي والكرامة العربية التي تمرغت في وحول الهزيمة ، أصبحت أقل ما يمكن أن يقال مصدر احراج لهؤلاء الزعماء وخاصة عندما ظهرت في الافق المبادرات الذليلة والاقتراحات لوقف اطلاق النار التي جاءت لتحفظ ماء وجوههم بتأجيلها الى اجل غير مسمى « الوعود لتحرير كل شبر من الارض العربية » وجعل هذا التأجيل ليس أمرا صائبا ومقبولا فحسب بل **وضروريا** . فمن المعروف ان للدولة او المؤسسة تفكيرا يعجز تفكير المواطن العادي عن فهمه . ولقد كان من المنطقي في مثل هذه المرحلة من التفكير العربي الرسمي العمل للتخلص من هؤلاء «المتعصبين» و«المشاغبين» الذين يخوضون غمار حرب تحريرية نجحت في جعل الجماهير العربية تلتف من حولها . وفي حزيران ١٩٧٠ وفي الاردن بالذات نفذت أول مرحلة جدية — وقعت قبلها محاولات صغيرة عدة — في استراتيجية القتل التدريجي ضد الفلسطينيين ، ورغم انها لم تدم اكثر من خمسة أيام ، فقد سقط نتيجتها مئات القتلى والجرحى الذين كان معظمهم من الفلسطينيين . اما الهجمة الثانية ، في ايلول ١٩٧٠ ، فقد كانت أشرس واكثر دموية ، كما انها استغرقت مدة أطول لدرجة اضطرت معها الحكومات العربية التي لزمت الصمت في الايام الاولى للقتال ، باستثناء سورية ، ان تتحرك خشية ان تتهم علنا بالتواطؤ مع السلطات الاردنية . ولقد قدر عدد الضحايا في هذه المجزرة التي دامت أحد عشر يوما بحوالي خمسة الاف شهيد وأحد عشر الف جريح (باستثناء المفقودين والجرحى الذين عولجوا خارج المستشفيات) ، وكانت النسبة الكبرى من الضحايا من المدنيين ، الفلسطينيين بشكل خاص ، وذلك لان السلطات الاردنية كانت قد عممت سرا على الكثيرين من الاردنيين « الاتحاح » بأن يغادروا عمان قبيل نشوب القتال. ولقد اكتسبت مأساة ايلول الفلسطينيين عطفا كبيرا ، في حين خرج نظام الحكم ملطخ اليدين بدماء الابرياء ، ولكن تم تصحيح ذلك بحملة دعائية متقنة عن طريق اجهزة الاعلام الدولية الكبرى. ورغم أن المئات من الاهالي قد قضي عليهم الا ان الفدائيين لم يهزموا الامر الذي كان يتطلب تنفيذ مرحلة ثالثة في استراتيجية النظام الاردني ضدهم . ولتجنب اخطاء المرحلة السابقة من الدعاية السيئة، قرر النظام هذه المرة أن تتم « المعركة الاخيرة » بعيدا عن المدن وعن متناول الصحافة ومحطات التلفزيون الفضولية والسريعة . وهكذا تم تنفيذ حملة تموز ١٩٧١ بكل دقة ودراية . فالمعروف انه بموجب اتفاقية القاهرة في ايلول ١٩٧٠ تم وضع الفدائيين بعيدا عن الاضواء ، خارج المدن والقرى في الجبال التي تقع الى الشمال الغربي من عمان حيث كان عليهم ان يحفروا قبورهم بأيديهم في انتظار المجزرة الجديدة . وفي غضون ذلك تسببت الاشتباكات المتقطعة والمتواصلة التي سبقت الصدام النهائي في كشف مواقعهم وتعويد الرأي العام على وجود « الاضطرابات في الجبل » . وفي الليلة التي سبقت الهجمة الكبيرة في ١٣ تموز طوق الجيش الاردني المنطقة بشكل كانت معه جميع الطرق المؤدية اليها مغلقة وقت نشوب القتال على نطاق واسع . وكذلك فقد نفى الناطق الرسمي الاردني جميع الاشاعات التي انتشرت في الخارج عن وقوع قتال ضار في جرش وعجلون واكد للمراسلين ان ما كان يحدث ليس سوى «اشتباكات عادية» . وقد نتج عن هذه المعركة القضاء على آخر معاقل الفدائيين وحرق الاحراج وأسر حوالي الفي فدائي وقتل المنسحبين منهم . وقد تمكن بعض الفارين من الفدائيين من عبور نهر الاردن الى الضفة الغربية حيث سلموا انفسهم للاسرائيليين!! ولم يسمح للصحفيين بزيارة المنطقة الا بعد ان كان كل شيء قد انتهى ، واعلن وصفي التل انه « لم يعد للفدائيين اي وجود في الاردن » .

اما لماذا سمحت القيادة العسكرية لحركة المقاومة